

يسم الله الرحمن الرحيم

أهلي الكرام...

أذكر ذلك العام تماماً... وأذكر ما كان يدور في خلال أيامه... بل وخلال كل ساعة من ساعاته... المتألقة التي توحى للمتأمل فيها، بكل ما هو شاق ومتعالي... وبكل ما يتمدد فيما بينها من مرافئ هينة.. ووديعة.. وساحرة.

أيام لم نعرف من الدنيا..

سوى مرح السرور..

وتتبع النحل الأنيق..

وقطف تيجان الزهور..

تلك الزهور خالصة البياض والملونة منها... مما تدفع به حشائش (التبر) و (الحنوت)... إنه ذلك المرح المتداعي خيراً ووفرة... من أفواه (الجدود والأبوات) العارفين، والماسكين المتشبهين.. بدروب التريبة السليمة، الممارسة الموروثة، من السلف الصالح... ومن أفواه وأحضان (الحبوبات والأمات).. الطائعات، الزاهدات، المدبرات... تلك التي تنبض (حنية) وقسوة... تمازجها الرحمة والشفقة الدافئة.

إن ما بين (الردمية والضنبية)، وما بين (الشويوة وود اللوز)، وما بين (الرقاش والتومات)، وما بين (قوز النقارة وقوز الكدسة)، وما بين (العميرية والحلة الجديدة)، وما بين أحضان (شدره ود عريض وشدره ود قريضة)، نبت وسمق اسم لا يتشابه والأسماء... وحصن كنز لا يزال باقياً... فقد سما واستطال وأربا... تمدد في تلك الحاضنة المرحابة... يتناول مما تجود به مياه النيل، (جفمة.. جفمة)... ويجني مما تدفع به أرضه الطيبة من (بقلها وثومها وعدسها وبصلها)... ومن الخشاش (البروس) والمزروع، على حد سواء...

يعصر من الضرع، بنهم شبق... بمثلما يمتطي ظهور تلك الدواب الوافرة... من النياق، والخيول، والحمير الحرة و (الديراوية)... توطن ذلك الاسم المأمول، بين (السعية) بأنواعها... الماعز، والضأن، والأبقار، بشتى مواصفاتها وأوصافها... وحتى الدجاج، والطيور المحلقة و (المعشعشة)... وما حشرته الأرض في باطنها من كائنات متنوعة... تنثر من الخير والنعيم، بذات الوفاء الذي

بسطة لها الطبيعة، المسخرة من الله عز وجل... الكل يشنت من الأصوات ما ينم عن لغته، التي يتواصل بها مع ذلك المجتمع المتعافي...

لم يكن ذلك الكنز غير (شبهشة) أرض الوفاء... هنا نبت عود ضيفنا الكريم، ونما.. وترعرع.. واستطال، مشبعاً بكل ما هو طيب أصيل.

التقته لأول مرة في العام 1953 من الميلاد... حينما جاء بصحبة (حبوبته) الوفية... المرأة الجعيصة، الراقية، في حديثها وفي مشيتها وفي تعاملها... (ميمونة بت الشيخ برير)... من منزلها المقارب للمسيد... لتلحقه بالخلوة التي كانت تشغل حيزاً من مسيد الشيخ برير... وكان اليوم يوم الكرامة، يوم الأربعاء، يوم شد البليلة... التي تعرف ب..(كرامة الأربعاء)...

جاء الصبي الذي لم يكن يشبهنا... نحن أقرانه في شئىً أبداً... إلا في الملمح البيولوجي فقط (Humanbeing featchers)... فقد كان الصبي يرتدي البنطلون والقميص (المحشي بداخله)... والشعر المحلوق (كرى)... كان يحمل إناء صغيراً أظنه (كوز)... مليء بعيش (فيتريته)... مساهمة منه في البليلة المرتقبة... فليته لم يكن يحمل ذلك العيش، فقد سقط الإناء، من بين يديه... وتشنت ما يحويه من عيش... وهنا كانت المفاجأة:

فقد علت أصوات الصبية وهم يهتفون بتلك الأصوات الرقيقة، الصارخة يرددون:

(عliš كشح العيش... عliš كشح العيش... عliš كشح العيش).  
العيش).

وكانت تلك أول مظاهرة حية أشهداها وأشارك فيها... أما المظاهرة الثانية التي شهدناها سوياً كانت إبان ثورة أكتوبر (عهد عبود)... وتلتها مظاهرات (أبريل) ومن بعد ذلك بحت أصواتنا... فلم نك قادرين على الهتاف الخارجي والصياح... إنما اكتفيتا بهتاف لا زال يشعل نيرانه داخل صدورنا...

سارت الأيام بنا... وفي جامعة الخرطوم فات على أن أتناول (قرمة أو قرمتين) من كعك الخالة (الجودلية بت الفاضل) رحمها الله... فقد كان له شأن عظيم، ذكرته في أحد كتبي السابقة...

وظلت تدور الحياة بنا، ونحن في غفلة، فما هو دكتور عيش يدور بنا في نفس  
الفلك... وأخاله يقول:

(تعال ليينا... تعال ليينا...)

تلقانا نحنا يانا نحنا...

ما غيرتنا ظروف...

ولا هزتنا محنة...

ما أكثرها من محن شائكة... تخللت هذه المسيرة الحياتية... وما أكثره من  
صبر طيب ينضح ألماً.

لك تحياتي (عمو) عيش... أو يا (فقا قمر وى)... فأنا أقولها صادقة: إنَّ ما  
توطد بيننا من صلوات، لأكثر من سبعين سنة... حبلى بأحداثها المثيرة... لم ينقطع  
التواصل بيننا أبداً...

ولم (ينكسر الماعون بيننا)...

ولم (يتدفق الفيه)...

وما حصل أن (تكاسرنا القحف)... حتى لحظة كتابة هذه الأسطر...

إلى اللقاء،،،

د. عمر العماس